

قصص للحكي والقراءة، للتسجيل الصوتي والإخراج
السمعي البصري، قد تحاكي لوحات تعبيرية مرسومة
فتعرف إخراجا جميلا يناسب تربية الذوق والجمال
والإدهاش عند الأطفال.



هي ست قصص للأطفال ذات عناوين معبرة:

""الصيا والغدليب

""حط الوديعه

""حري ريش

""أسد ف بيتنا

""بذر حياة

""كر يوسف

تأليف حسن إمامي

من المغرب

الإهداء إلى كل أطفال الغد
كل طفل في حاجة إلى حضن ودفء وجداني
في حاجة إلى العيش بسلام وحب وئام



قصة بعنوان

الصيد والعندليب

خرج سعيد في رحلة صيد ، يبتغي تسلق الجبال وعبور
الأنهار ، واختراق الغابات والأشجار.

راح ببندقية صيده يبحث عن هدف يقتنصه في رياضة
يهواها منذ صغره. حينما كان يخرج مع أبيه، كان يهتم
بمعانقة كل المخلوقات باللعب والحوار والاكتشاف لجمال
الطبيعة وغناها في النبات والحيوانات.



وحيثما يعود إلى منزله، يحكي لأمه وأفراد أسرته مغامراته مع الفراشات والطيور، وكيف كانت السباع والحيوانات المفترسة تخافه وتفر منه بمجرد إشارة ملوحة من يديه، وبجانبه كلبان سلوقيان يقفان لاهئين، متأملين حركاته المداعبة لكل شيء.



إنما هذا الصباح، ها هو قد كبر وأصبح رجلا طويل القامة، قوي الساعد، متدربا على استخدام البندقية بكل تركيز وسرعة ودقة. أول ما شاهد في يوم الأحد هذا من نهاية الأسبوع:

عصفورا!

- عصفورا؟ ! سأله أفراد العائلة.

وما قصتك مع هذا العصفور؟ هل هو ما تريد قنصه؟

- طبعا لا. أجاب سعيد وهو يروي الحكاية لأفراد أسرته.

بين أغصان شجرة كليبتوس متوسطة الحجم، أوراقها خضراء، لامعة بفعل الندى الذي لا زال بارقا بين النباتات والأزهار، لمح كائنا عجيبا وجميلا. لا هو بصغير الحجم ولا بكبيره. دون الحمام وفوق الحسون. ألوانه أربعة، متصاعدة من زرقة مدادية إلى حمرة فاصفرار فقرمزية، ناصعة شفافة. تقاسمت الألوان جسده المسبوك بريشه الناعم الذي ينسدل من جنبات أجنحته وذيله وعرفه الصغير الذي يميل إلى خلف رقبتة، فيغطيها وقاية من أشعة شمس أو نفحة برد. بحسب الفصول.

بقي الصغار فاتحي أفواههم للوصف البديع لهذا العصفور. وبقيت زوجته متأملة الحكاية، وهي آخذة الإبرة بين سبابة وإبهام أصابعها، في عملية تزيين لثوب تطرزه وترسم فوقه وصف العصفور الذي رآه زوجها سعيد في رحلة صيده الأخيرة.

.. * ما كان نفحة فهو من البرد، وما كان لفحة فهو من الحر.

تحولت تلك البندقية بين يديه، بفعل الإعجاب والدهشة، إلى عصا تساعده على البقاء مستقيماً في وقوفه وهو منبهر من جمال العصفور. تواري* عتاد القنص والصيد، وأمر السلوقيين الذين يرافقانه في رحلة البراري* والجبال بالسكون والهدوء.

انصاعاً لأمره باحثين عن سر هذا التأهب* الجديد، أهو تربص بأرنب أم بحجل بين أغصان ملتفة أم ماذا؟ وهما الخبيران بأنواع الحيوانات التي تطير والتي تجري والتي تزحف بين الخلجان والشعاب. لا إشارة للاستعداد، لا للتصويب بالبندقية، ولا للجري وراء فريسة طريفة. تساءلا:

- ماذا يتأمل سعيد الصياد؟*

نزع قبعته التي تقيه من الشمس وحيى العصفور بكلام وديع:

- صباح الخير يا عصفور. يا لجمال ألوانك وبديع لوحتك.

- صباح الخير أيها الصياد. هل جئت لكي ترميني برصاص بندقيتك؟

..* - (تواري أي استتر) - * (البراري : البرية الأرض المنسوبة إلى البر وهي بريّة إذا كانت إلى البر أقرب منها إلى الماء، والجمع البراري). (التأهب: الاستعداد).

- لا والله، لا أستطيع أن افكر في ذلك أمام هيئة طيرك وألوانك. أعجبني النظر إليك، لبيتك تأتي معي للإقامة في حديقتي، أوفر لك كل ما تحتاجه وأستمتع بشدى أحنك.

- وهل في حديقتك شلالات، وتلال، وفجاج، وقمم جبال. هل في حديقتك أنواع طيور وحيوانات برية؟

أجابه سعيد:

- عندي دجاج وحجل وطاووس ودواب وخيل. كلها حيوانات مألوفة. عندي أشجار ليمون وإجاص ولوز وزيتون ورمان وتفاح، وكلها شهية مقطوفة. سأبني لك عشا فاخرا، من خشب، وأجعل لك ريش نعام رطب وأحميك من أخطار الجبال والعواصف.

فكر العصفور مليا. حلق دائريا بين جذوع الأشجار وفوق أجمة* الغابة التي بدت له خضراء فاتحة في سطح أغصان

..*(الأجمة : الأجمة الشجر الكثير الملتف).

قصص أطفال

حسن إمامي

أشجارها، داكنة في جوف تربتها وما تساقط من ربيعها
وحشيشها وورقها.

عاد لزاوية جديدة أمام سعيد ورفرف بجناحيه مع عملية
إنزاله ورفع جِده الذي بدا بغرة *بين منقاره وملتقى صدره.
غرة بيضاء، أضافت العدد الخامس لمجموع الألوان التي
لاحظها سعيد في تشكيل رسم الطائر العجيب.

- أنت سعيد الصياد. كل أحد تأتي لهذه الغابات والجبال
لتصطاد. كم من مرة رأيتك تسقط الحمام والحجل، والأرانب
التي تحملها لك كلابك المدربة. كيف تريدني أن أكون معك
وأنت كل مرة تدمر مخلوقات وتزرع الرعب في الأركان
والأجواء؟ أتدري كم من قلب يخفق فزعا فيكل مرة تطلق
فيها رصاصة؟ وكم من فراخ ترتعش جزعا، فتغمض عينيها
كأنها تريد أن تعود إلى رحمِ قبل ولادتها؟ لا تدري هل أمها
التي ذهبت ضحية لرصاصتك، أم هي التي منعت من
تسديتك*؟

ردد الطائر:

مِنِّي الحمام واليمام، كلنا ننشد العيش بسلام.

مِنِّي الحمام واليمام، كلنا ننشد العيش بسلام.

مَنِّي الحمام واليمام، كلنا ننشد العيش بسلام.

وعاد يحلق في الفضاء. وبقي سعيد مستكينا بلا حراك. تُرى هل ما يقوم به من صيد طبيعي أم لا؟

اختار العصفور غصنا أعلى، جعل سعيد ينظر إليه بوقاية بيده من أشعة الشمس رغم قبعته التي فوق رأسه.

رفرف العصفور من جديد وغنى بصوت عذب، وهو العندليب. ساد الهدوء والسكون، وسكنت الحيوانات إلا ما كان من تمايل فروع الأشجار كأنها تتراقص مع لحن العصفور الجميل.

استمتع سعيد بحواسه: بفتحة السماء بين أعالي اغصان الأشجار، بلمس الأشعة التي أدفأت جبهته ووجنيته وأشعرته بزيادة في طوله وقامته، بمسمع الألحان الحنية المطربة وحفيف* أجنحة أسراب الطيور وأوراق الأشجار المحتكة، كأنها دفوف* ترد على أوتار وصوت العصفور.

.. (*حفيف: هو صوت الريح وأجنحة الطيور *- دفوف: تشبيهه بوظيفة الضرب على الدف في الإيقاع الموسيقي * - كوني: نسبة للكون يعني عالمي).

حرك السلوقيان ذيليهما بتسارع وتمايل، حتى إنهما جلسا على أربع قوائمهما مستنتجين أن اللحظة بهاء وجمال ومعانقة طبيعة وسماع لصوت كوني* عجيب.

...

تكلم العصفور الغدليب من جديد:

- أنا أحب الحرية في التحليق، والاستحمام في منابع المياه التي تتجدد كل حين. أحب تتبع مسار الفراشات، وسباق الأرناب بين الأحجار والجحور، ولغة الغابة التي يتخاطب بها أهلها والتي تخبر بها جنسها. هذا مرعى، هذا ماء عذب، هذا ضيف جديد، هذه شتاء مقبلة أو ربح عاصفة...

- أنا غدليب يجدد لحنه مع خرير المياه ومصب الشلالات وتراقص النباتات مع الرياح. لي سمع لخطاب طبيعة لا تسمعه، وحدث لقوانينها لا تدركه، ومتمعة في الاكتشاف الجديد كل يوم لا تتذوقه. أنا لا أشرب من الماء مرتين، بينما أنت تشرب من الكوب مرات. أنا أكث *كل يوم للبحث عن الغذاء، وهذا يعطيني قوة تحليق وتماسك عضلات ومقاومة حياة وطقس و مناخ.

- أنا ما حَلُمُ به الشاعر جبران* ، و غَنَّتْهُ فيروز*، فجعلتني
أعشق الغناء والطرب و الشعر كل حين:

"أعطني الناي و غنّ ... فالغنى سر الخلود"

- هل عندك ناي؟

- لا ، أجا ب سعيد .

- رأيت، أنا أحلم بالناي والغناء، وأنت تحلم بالبندقية
والصيد. كلانا مختلفان.

- وكيف ألتقي بك إذا أردت صُحبتك؟

- أنا عند الشلالات أعزف على وتر الماء بألوان زرقاء
السماء، وبين الأزهار أستنشق عذب العطور فيحلق صوتي
كما غنائي قبل أجنحتي بحُرّيتي.

....

سارع الأطفال إلى توصل أبيهم بالذهاب في نزهةً إلى
الشلالات.

* - جبران خليل جبران، شاعر لبناني (1883/1931)، عاش ببلاد المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية. فيروز مغنية لبناني وعربية.
حسن إمامي قصص أطفال

سارعت الأم "جميلة" إلى إتمام لَمَسَاتِهَا الأخيرة من لوحة مرسومة بالطرز على الثوب الحريري، معلقة لها على الجدار.

طلب الطفل الصغير "سمير" (5 سنوات) من أبويه أن يحمل معه اللوحة هدية إلى الغدليب. سأله أبوه سعيد:

- لماذا؟

أجاب:

- لكي يقبل صداقتي ويكون معي في لعبي وغنائي. أنا كذلك أحب الغناء والرقص والتحليق.

سألته أمه جميلة:

- وكيف ستحلق مع العصفور يا سمير؟

أجاب :

- سأحلم وأغني، وكلما غنيت مع الغدليب حلقت ألحاني مع ألحانه، وحلقنا معا في أغنية جميلة. فهو كذلك تعجبه فيروز في أغنيته!

تدخلت أخته "سعاد" (تسع سنوات) مترجية أباه، مُقبلةً
خده:

- أريد مزمارا يا أبي.

- ولمّ المزمار يا سعاد؟ سألها أبوها.

أجابت:

- لكي أرافق العصفور في لحنه، ولكي نعزف سمفونية
العصفور الجميل، عاشق الحرية الطليق.



حلم الوديعه



صَحَتِ الوديعه على لحن عندليب جميل. اخترقت أشعةُ
الشمس فتحات النافذة، محدثةً لوحة نور بأعمدة مائلة براقه
أحاطت بسرير نوم الوديعه.

انعكس النور على ألوان زجاج النافذة الأحمر والأزرق.
جعلت الأشعة قُبلتين على وجنتيها:

زرقاء على اليمين، وحمراء على الشمال. كأنها نسجت لونا
ورديا جهة قلبها، ولونا أوركيديا *جهة وضاعة وجهها
القمرى المفضض*، البارق، بنضرتة اللجينية*.



، * (نات السد لب أو الأور يد هونات من طافة أحادات الفقة يتج ز
رة هي من أمل الزور وأقد بها من يث الوود تيش 7 أيام إلى 14 يوم).

**مفضض كاند مطلا بفض لكتر لمعانه

* نَضَّة وَه : حُسْنُ ، إِشْرَافُ ، رَوْنَقُ . النَّضَّةُ : السَّبِيحَةُ نَ الذَّهَبِ . * اللجيني
ي ي الف ي كذ

عندل* ثم عندل، وطرق الزجاج بمنقاره داعيا الوديعه إلى فتح باب الشرفة المظلة على سهل ممتد إلى تلال مترامية في الأفق البعيد. تعطي في منظرها للحلم والخيال قوة الإبداع والتعبير والطرب الشادي المرافق والعاشق لنور الصباح، كما للشفق** * الأدرى المساء الغاب الذي يك وهضاب والتل المحيط، عر هذا السدل الفسيح

خضرة كفراش عميق يعلوه ضباب خفيف ورطب، يتفرق كغطاء ينبسط على محيط الأراضي الخضراء، فيتداخل البياض مع الاخضرار، ويأتي اللون القرمزي والأحمر القاني، وأسرة القوس القزحي، لتزيين حلة العروسة الوديعه، في هذا العرس الطبيعي الذي يحتفل بها على هودج شرفتها.

تثاءبت مع إطلالتها على الشرفة، مددت يديها إلى أعلى، احتضاناً لهذا الصباح الجميل.

حضر عصفوران بألوان بديعة زاهية. رفرفا بأجنحة مظلة ومعطرة تحمل نسيم أزهار الحقول وورود البساتين.

..* * عند : صدت الغدلي

* * الشف : الحمة الذي تظري الأقب بد غرب الشم

قصص أطفال

حسن إمامي

فرشًا بساطًا أمام قدميها. تقدّمها العنديل في نطه وامتطائه
البساط العجيب. جعلت الوديعة قدميها الناعمتين على ملمس
صوف البساط المزركش بألوان الربيع. شعرت بجاذبية
تحليق، جعلت جسمها خفيفا كفراشة. أجنحتها معانقة بعبق
عطرٍ لكل ما تلمسه وتحل به.

حمل الطائران البساط، والوديعة معانقة فوقه بحضن
ذراعيها وابتسامتها كل الفضاء الجميل.
في كل مرة تستقبلها تحية مرحبة، مغنية ومغردة.
تتراقص الأشجار بين المروج والجداول، وتتمايل لمرور
موكب وهودج الوديعة البهي فوق بساطه.

- أنشد العنديل:

نور الصباح بمحيا الوديعة، كلنا نغني، نستحم معه سويا،
أقبلت على البحيرة أميرة بهية !

- يرد الطائران:

نور الصباح، أميرة بهية، نور الصباح وديعة مرئية

- ترد اشجار الصفصاف والميموزا:

ظلالنا لها، نحمل معها نسيمًا صحيا، نقيها حرارة شمس
الصباحية

- تطل الشمس من سحابة جميلة:

جعلت لها أشعتي دفئا، حمام نور صبحا وعشيا

باردة وقت الظهيرة، ناعمة أطراف الصبح والعشية

حملتُ لها أرطب السحب، مظلة لخطوها في البحر والبريه

...

يحط موكب البساط على فراش أخضر من الربيع الزاهي،
يدعوها للاسترخاء والاستراحة والاستمتاع برحلة الشرفة
والبحيرة.

تأبى الأميرة وتخاف أن تدوس على النبات المزهو بالزهور،
بوزن جسمها.

- يُجيبها العشب بأغنية تتراقص مع هبوب الرياح المتماوج
اللطيف:

استلقي أيتها الوديعة إذا على اليمين ملّت
جعلنا امتدادنا يمينا، وراحتنا معك نعيما
وإذا على الشمال ملّت فرشنا خدنا اليمن
وملنا كلنا لك روضا أمينا، استلقي أيتها البهيه
أيتها الوديعة

...

تلاطف بابتسامتها سمفونية هذه الفرقة الموسيقية الطبيعية.
تلامس بكفئها سلاما وأمانا وصحبة ومحبة، أشعة الشمس
اللطيفة، وهبوب الرياح التي تدفئها، وظل السحاب الذي
يُكفئها، ولواقح الزهور والأشجار التي تتراقص داخل مسرح
الطبيعة، بين ضفاف وشطآن البحيرة الناعمة.

يشرع رقص الأسماك بين تراشٍ وارتماعات مقوسة. مرة
يمر خيطا متموجا في قفز وغطس عابرا طولا وعرضا،

وأخرى في شكل دائري جاعلا ذيله رقصة شرقية، وجسده لامعا مثل ثُرَيَّا فوق صفحة الماء انعكست عليها ألوان السماء والأشجار وحركات الخلائق المشاركة في الاحتفال.

كل البلايل والعنادل تؤثث الفضاء، تغرد لهذا البهاء.

راحت الوديدة فوق البساط، والطائران حافان، في رقصة فضائية.

يصعد البساط مستديرا فوق البحيرة، تتعالى الأنغام، والأشجار منحنية حتى ملمس كفيها، والأزهار حتى معانقة خديها، والندى مهدى لوجنتيها.

راحت في ابتسامتها معيدة رمش عينيها، وجدت حُلمها نعيم صباحها الذي اخترق بنوره غرفتها وأضاء بوجهه شرفتها، ونادت:

صباح جميل، أيها العالم البهي الحبيب.

ابتسامة ندى

الاسم : ندى

السن : خمس سنوات

الصفة : فاعلة في جمعية بيئية

ابتسامة ندى



ابتسامتها لا تفارقها. وقوفها في الساحة بجانب أمها. تحمل في
يديها أوراق صغيرة. تحاكي أمها في نشاطها. تسبقها في مناداة
المارة:

- سيدي، تفضل وخذ هذا النداء بين يديك !

تبتسم أمها مشجعة لها، كلما نجحت في تواصل جديد. تسألها
سيدة تمر في الطريق:

- لماذا هذا النداء، يا بنيّتي؟

تجيبها:

- من أجل حماية الحديقة العمومية وجعل الألعاب فيها.

تسألها من جديد:

- ما اسمك عزيزتي؟

- اسمي ندى، وأعمل في جمعية البيئة الخضراء.

جُلُّ المارة يندهشون مبتسمين ومُعجبين بالطفلة الصغيرة. حذاءً رياضي صغير، وكسوة فستقية أنيقة، ووردتان حمراوان تزيان رأسها بقبضة على ضفيريّتين إلى أعلى كزهرة أو كفراشة مزهورة بألوانها.

يمر شابُّ أمامها وفي يده برتقالةٌ يقشرها. اندهشت وهي ترى القشور منفلتة من يده يرميها فوق الرصيف في لا مبالاة!

صرخت:

- - أووو ه! ما، ما، ما، ان ر

قصص أطفال

حسن إمامي

وضعت الأوراق المتبقية بين يدي أمها. احتاجت لبضع خطوات لكي تلتقط القشور من فوق أرضية الرصيف، بينما حركات الحاضرين توقفت مشاهدةً. حتى من الشرطي الذي ينظم المرور، التفت مقتربا منها.

أخذت بين يديها تلك القشور المرمية. نادى ذلك الشاب وهي متجاوزة لظله بأسرع حركة تجعلها أمامه وناظرة لعينيه مباشرة:

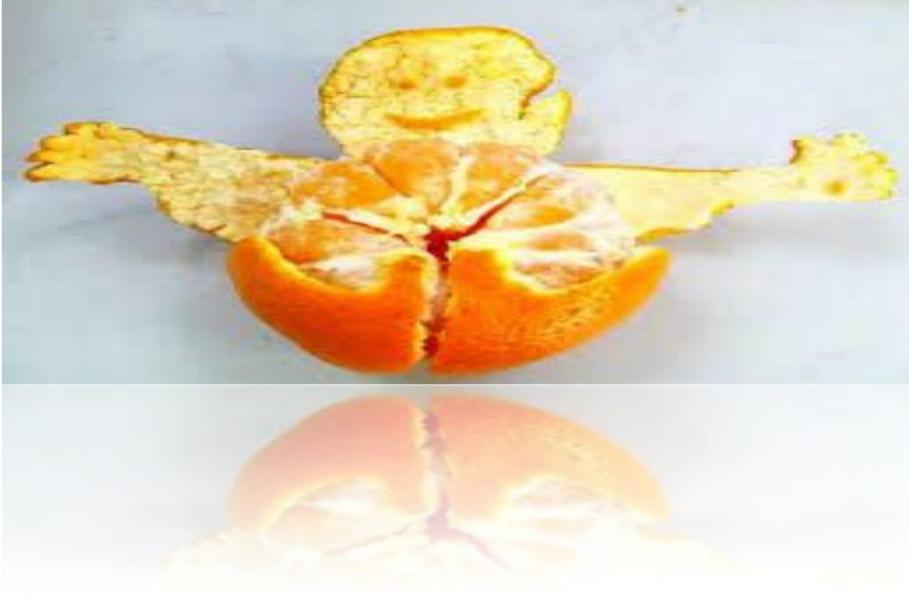
- أرجوك أخي، ساعدني على جعل هذه القشور في صندوق القمامة، هناك في زاوية من الساحة.

تصَبَّب الشاب عرقاً، رغم برودة شهر دجنبر. أخذ منها القشور وقبَّل رأسها و اعتذر هامسا في أذنها.

رجعت ندى معانقة حضن أمها، وفرحةً بإنجازها. صفق لها الحضور الواقف والمارة في الطريق.

امتثل أمامها الشرطي مؤدياً التحية الرسمية، وشاكرا لها سلوكها.

راقصت أشعة الشمس بعض السحب في السماء لامعة ببريق ضوء، بينما رفرفت حمامة عابرة ومبتسمة مع: ابتسامة (ندى).



أسد في بيتنا



أدمعت عيناه من الضحك. لكنه بقي حائراً في طلب بُنيته (ضياءً).

لم يعرف كيف يشرح لها الموقف. وكلما تأخر الحل والجواب لطلبها، كلما زادت ضياءً في البكاء وزادت لمحات وجهها تبديلاً، وانهمرت دموعها المحتجة.

كانت أول مرة تراه مباشرة. ربما اطلعت على صورته. ربما تعلم أنه ملك الحيوانات والغاب، وأن كل الناس تحترمه وتخافه.

ربما لن تخاف هي إذا أخذته إلى المنزل! فهي تحبه في صورته
وستهتم به بعناية كبيرة. سيكون بجانبها، وبجانب "نونوس
الكبير" الذي تركته حارساً على ألعابها في غرفتها.

- ضياءً! ناداها أبوها .

- ن ... ع ... ممم ... أجابتهُ والحروف مبتلة بدمعها.

- نحن الآن في حديقة للحيوانات، والحراس لن يسمحوا لنا بأخذه.
كذلك الحيوانات هنا، لا بد لها من أسدٍ معها ليحميها.

- نأخذه معنا، وفي العظة المقبلة نرجعه إلى الحديقة وإلى
الحيوانات.

تدخّلت أمها:

- ما رأيك أن نشترى لك أسداً من دكان الألعاب وتضعينه إلى جانب
نونوس؟

ازدادت آهات رفضها:

- أنتم تضحكون عليّ. هذا الأسد يتكلم و ينظر إليّ، أما نونوس
فإنه صامتٌ دائماً.

- انتظري. طلب منها أبوها. سنسأل الحارس هناك عن طلبك ونرى. ما رأيك؟

بخطوات متناقلة، واكبت أباهما في المشي حتى وقفًا أمام الحارس. لم تُدرك إشارة العين ولا ابتسامتهما المتبادلة بين الكبار. ما سمعته من حوارهما أقنعها بضرورة التنازل عن طلبها:

- سيأتي أهله لزيارته في الحديقة، و يجب أن يبقى فيها لاستقبالهم. و كذلك، فهو الذي يحمي الحيوانات هنا. أقترح عليك أخذ صورة بجانب قفصه وجعلها في جدار داخل غرفتك.

أعجبتُها الفكرة الجديدة التي اقترحتها الحارس. كانت أفضل من مبررات أبويها في رفض طلبها. مسحّت دموعها، وهيأتها أمها لأخذ صورة مع أسدٍ شبعانٍ ومُستلقٍ على جنبه داخل قفصه.

عَلَّقَت الصورة داخل إطار، على الجدار في غرفتها، وكتبتُ جملةً تعريفية لها:

** أ د ي بيتا

لنقرأ للملائكة قصة

إنها الحرية: حرية ريش



سارة و سليم، أخوان يحبان الطيور. هي في الثامنة من عمرها، وهو يصغرها بثلاث سنوات.

قصة سارة مع الطيور مرتبطة بتجربة عاشتها وعمرها أربع سنوات. انغلقت عليها باب غرفتها، وتعذر على أمها فتح القفل، حتى جاء أبوها فاضطر لكسره بقوة.

لا تنسى ذاكرتها نوع الشعور والصراخ والبكاء الذي حضرها ذلك اليوم. ولا تنسى كذلك عناقها لأمها وأينها على صدر أبيها، كأنها فقدتهما في غياب سفر، ووجدتهما بعد عودة واشتياق.

ولكي يُنسيها أبواها ما وقع، خصّصا لها فترة ما بعد زوال ذلك اليوم لنزهة في الطبيعة بين الأشجار وخشخشة الأوراق وزقزقات الطيور.

كان عمر سليم يوم النزهة لا يتعدى السنة من عمره. وحينما أجهش بالبكاء في مهده وسريره المتنقل، التفتت أمه، فلاحظت طائرا صغيرا بجانبه.

وللدهشة، لما اقترب الثلاثة من المشهد، لم يحلق الطائر في السماء. بدأ بريئا وصغيرا، جعلته الصدفة خارج عش أمه وشجرة بيته.

في ذلك اليوم، اهتمت سارة بالطائر الصغير. انتظرت ظهور أمه ومعرفة عشه. اقتربت الشمس من الغروب، وبدأ المتنزهون يرحلون عن فضاء الغابة. اقترح عليها أبوها أن تأخذه معها، و تُربّيه، حتى إذا كبرت أجنحته أعادته إلى هذا المكان، إلى الغابة.

وكان ما كان. كانت فكرة القفص من اقتراح أمها. كان السبب هو دخول (لولو)، قط الجيران كل مرة إلى المنزل (لولو - بتفخيم اللام).

استقامت أجنحته، وتفرع ريشه بألوان جديدة. جربت الأسرة فتح باب القفص داخل غرفة مغلقة النوافذ والباب. حلق الطائر، وتحول فضاء الغرفة إلى موسم طيران وقفز وخطو فوق الوسائد والرؤوس. كانت سارة فراشة مرافقة، وكان سليم جمهورا مصفقا. كانت فرحة واحتفالا واكتشافا جيدا وجميلا.

بعد تحليق بين الأركان، وتجريب الوقوف على أسلاك الثريا الكهربائية المعلقة في السقف، عاد الطائر من تلقاء نفسه إلى القفص ليستكين في هدوء وراحة بعد تعب تحليق.

ذكَرَت الأم بنتها سارة بوعدھا. تحوّلت فرحة اللعب في هذا المساء إلى عبوس قسمات وعدم قبول اقتراح أمها.

تكلّم الأب:

- تتذكرين يوم أُغْلِقْتُ عليكِ باب غرفتك. كيف كان شعورك؟

- شعرت أنني بدون أجنحة تحليق.

- كذلك هذا الطائر المسكين. فَكَّرِي فِي أَسْرَتِهِ الَّتِي بَقِيَ بَعِيدًا عَنْهَا.
عَلَّقَتْ أُمُّهَا.

- عِنْدِي اقْتِرَاحٌ. قَالَ الْأَبُ: سَنَشْتَرِكُ جَمِيعًا فِيهِ، حَتَّى سَلِيمِ الرُّضِيعِ
سَيَشْتَرِكُ فِيهِ حِينَمَا يَكْبُرُ.

- مَا هُوَ؟ سَوَّالٌ مَشْتَرِكٌ بِصَوْتِ وَاحِدٍ صَدْرٍ مِنْ سَارَةَ وَأُمُّهَا.

- نَشْتَرِي كُلَّ مَرَّةٍ عَصْفُورًا صَغِيرًا. نُرْعَاهُ وَنُرَبِّيهُ. وَحِينَمَا يَكْبُرُ
نَطْلُقُ سِرَاحَهُ. مَا رَأَيْكُمَا؟

- إِنَّهَا الْحَرِيَّةُ ! أَجَابَتْ سَارَةَ.



(مهداة إلى كل طفل احتاج لحضن في هذه الحياة)

بذرة حياة

وقف الأطفال في الساحة، مثنى وثلاث ورباع وفرادى. حركاتهم فرحة بحرية الصراخ والجري واللعب. فبعد ساعة سيعودون إلى الفصل الدراسي مع أستاذ اللغة الفرنسية.

عليّ، بسرّوالة القصير، وحذاءه الرياضي الأبيض، وقميصه الأرجواني الشفاف، صامتٌ ويفكرُ في زاوية من الساحة.

يتأمل الحديقة الخضراء التي اتسعت لنصفه الآخر المحاذي لسور المؤسسة. تذكر توصية أستاذه في العلوم الطبيعية. قبضة يده احتضنت سره الفريد. لم يُخبر أحداً بمخطّطه. حينما كلّمه أستاذه سائلاً:

- هل تريد أن تعرف سر الأرض والحياة؟

اندهش لغموض السؤال وكبره. فتح فمه متعجبا، لكن راسه طأطأ موافقا. استلم السر والوصية، وأسرع لتنفيذها .

بحث عن بقعة تراب فارغة من العشب الأخضر الممتد. بعيدا عن شجرة الصفصاف التي تقف سامقة كعلم يشار بنعته إلى جهة المؤسسة من بعيد.

وقبل أن يبدأ في الحفر، رفع عينيه إلى أعلى شجرة الصفصاف، كأنه استأذنها في الغرس.

كيف يوصيها على بذرتة التي استأمن لها الحديقة؟

كيف يستلطف العصافير حتى لا تلتهمها؟

في ذهنه وخاطره، شرح لها أهميتها:

- ستكون ظلًا لكم جميعا، وحننا لأعشاش فراخكم، وهواء لسكون أيامكم.

لم ينس مسافة الحفر وعمقه وتوقيته الزمني. تلك تعاليم غرس هذه النوعية من الأشجار. تلك توصية أستاذه. كيف يمهل بين

الحفر والغرس. وكيف يبيل التراب ويترك أشعة الشمس في
اختراق لحبيباته ولطينه المعجن .

بعد ذلك، بَسْمَل وابتسم وحمد الله على نعمة الأرض والحياة.
وضع البذرة عميقا. ذرَّ عليها التراب بنعومة تترك للهواء سبيل
اختلاجها، فحتى النباتات لا تحب الاختناق.

ساعل نفسه:

- كيف تتنفس؟

سارع للجواب الذهني بدرس الأرض والحياة. كان عمره آنذاك
عشر سنوات.

وبعد خمس عشرة سنة، عاد للساحة والمؤسسة أستاذا للعلوم
بالمؤسسة.

رفرفت أغصان شجرة التوت، وفاح نسيم ورقها الأخضر اللامع
مع بريق أشعة الشمس. كما تنافست طيورها مع طيور شجرة
الصفصاف في الزقزقات.

من بعيد، عندل عصفور في محيا الأستاذ الجديد والتلميذ القديم.
ابتسم عليّ ل"أسرته" التي زرع بذرتها، وقال (بسم الله) وهو
يعبر ساحتها.

كرة يوسف

في كل صباح يكون ليوسف موعد مع سطح المنزل. في زاوية خلف بابه يركن كرته الصغيرة جدا، ذات الألوان المزخرفة، والتي ينبهر يوسف لزرقتها وحرابيتها كلما تدرجت أمامه منقلبة من قدميه أو يديه.

كرة يوسف ناقصة في ضغطها الهوائي، ما يجعلها بطيئة غير سريعة في حركتها. سدادتها ضاعت مع عملية غسل الثياب وتنظيف أرضية سطح المنزل المزلجة.

لكن هذا الصباح، لما صعد يوسف إلى سطح المنزل، صادف مشهدا غريبا. لم يخطر بباله أن لقلق الحي، المرابط فوق صومعة المسجد سيكون مشاركا له في كرته.



كم اشتكت الأم من ضياع بعض الألبسة الصغيرة، إلى أن استنتجت انضمامها لبناء عش هذا اللقلاق الذي يتخذ مقامه فوق الصومعة متعاليا على الجميع.

خيال يوسف جعله يعتبر سرقة الثياب لجعلها لباسا لصغار اللقلاق التي احتضنت بيضاها ورعت حضانتها أم اللقلاق الصغيرة.

مرة، بقي يوسف مادا من فوق السور جوربا في يده عسى أن يأخذه اللقلق لأولاده... ههه، ضحكت الأم لتصرفه، وعلقت بكون اللقلق لا يلبس أحذية إذا لا يحتاج إلى جوارب.

إنما أن يأخذ بمنقاره الكرة، مستعينا بجعل منقاره في ثقب السدادة التي أتلفتها مصارف المياه مع النظافة والغسيل، غائبة وسط رغوة الصابون الأبيض، فهذا ما جعل المشهد مدهشا عند يوسف.

كان المشهد طبيعيا حينما يرى اللقلقين آتيين من آفاق الوادي أو الجبال المحيطة بالبلدة، محلقيين في استدارات، حالين برفرفة أجنحة، ملققين بمنقاريهما، جاعلين ظلا حميميا حاميا لصغارهما من حرارة أشعة أو ريح عالية، مرسلين رائحة أبوتها يعرفها الصغار بشمها وحدثها، فتشرب أعناقها طمعا في غذاء محمول و ألفة أسرة لقلقية.

كان يوسف يقف منتصباً ومتمكناً بمرفقيه على سور سطح المنزل، متأملاً هذه المشاهد كلما سنحت له الفرصة، جاعلاً استراحة لمقابلاته الفردية مع كرتة الصغيرة جداً والمزركشة، محلقاً بأحلامه وخياله وهو ابن الخمس سنوات.

لكن هذا الصباح مغاير لغيره. حدث طارئ، حالة استنفار، حل معها صراخه ونداؤه على أمه وهو ينزل الدرج مسرعاً الخطو، يوقظ أخاه الأكبر ذي الأربع عشرة سنة.

صعد الجميع إلى السطح. انضمت الجارة بالجوار لمشاهدة الحدث ومتابعته.

هل أراد اللقلق اقتناء كرة لصغاره؟ ولا تخلو ساحة من كرة ولا ملعب منها. فلماذا لا يذهب ويشتريها ويترك كرة يوسف ليوسف؟ وهي عالمة الذي يسحره بحركته وألوانه؟

تجهش بعد الدهشة للبكاء. بدأ سمفونيته الأولى بمقطعه الصوتي الدال على غضب طفولي احتجاجي مطلبى.

تشمم صغار اللقالق الكرة المهداة لهم. لم يستطيعوا دحرجتها مثل يوسف. لم يسعفهم ملعب العش لذلك. تشمم الساكنون علياء الصومعة بأبيهم وأمهم وصغارهم هذا الشيء المستدير. لم يطيقوا تواجده. ضاق بسببه مجالهم.

بعد خمس دقائق دفع أب اللقالق الكرة بمنقاره. تعثرت في البداية بين عيدان العش الكبير. تطايرت العصافير المقيمة بين ثنايا أسفل عش. كما أن حمام نوافذ الصومعة طار في كل الاتجاهات.

لكن، بعد حركة انتفاضة أجنحة لقلقية، تهاوت كرة يوسف من أعلى الصومعة في مشهد سقوط عمودي رائع حتى ارتطمت وتدحرجت بعد نط ونط راسية بساحة المسجد الأمامية.

رغم وقع المشهد، تسمر يوسف مطلا من أعلى سور
سطح المنزل للحظات، إلى أن أيقظته نداءات أمه
وأخيه:

- - اجر، والت ط ك ر ك ق ل ن ي ع د الل ق لأخذ ا
و يذ ج الك ب الض م ن ع د الجير ن فيمزقه

منذ ذلك اليوم، أصبحت كرة يوسف تنام معه في بيته
بعد أن يقوم بغسلها قبل إدخالها إلى غرفته ويحتضنها
لمقابلاته الرائعة التي ينجزها في أحلامه.

ذلك كان شرط أمه لجعل الكرة معه في غرفته:

النظافة أولاً.



مع تحيات حسن إمامي